الإسم واللقب: زياد اسماعيل.

الجامعة: الشهيد حمه لخضر الوادي.

التخصص: علوم إعلام واتصال.

الرتبة: استاذ محاضر أ.

البريد الإلكتروني: ziadsmail26@gmail.com

محور االثالث: قراءة متجددة في الميكانيزم المفاهيمي للنظرية الإجتماعية.

عنوان المداخلة: البعد البنيوي السيميولوجي لفهم المجتمعات الحديثة عبر البراديغم اللغوي

المداخلة:

البعد البنيوي السيميولوجي لفهم المجتمعات الحديثة عبر البراديغم اللغوي

الملخص: تعتبر اللغة من الناحية التواصلية وسيطا مهما في حياة الإنسان الفردية والجماعية، لذا نجد المقاربة البنيوية والسيميولوجية إهتمت بدراسة بنية اللغة الداخلية كاشفة في البداية عن أسسها ومختلف قوانينها لتصل المقاربة في الأخير عبر الأطر اللغوية المنطوقة إلى قواعد لغة الصورة وإختلافها وتوافقها معها.

Abstract: From the communicative point of view, language is an important mediator in the individual and collective life of the human being, Therefore, we find the structural and semiological approach concerned with studying the structure of the internal language, revealing at the outset its foundations and various laws, In the end, the approach, through the spoken linguistic frameworks, reaches the rules of the language of the picture, its difference, and its compatibility with it.

مقدمة: تعتبر اللغة من الناحية التواصلية وسيطا مهما في حياة الإنسان الفردية والجماعية، حيث عملت منذ وجوده حتى يومنا هذا على ترجمة ونقل أفكاره والتعبير عن ما يجول في خاطره من عواطف وأحاسيس،بوصفها نسقا يتميز بقوة التأثير وغزارة في المعاني والدلالات لما لها من قدرة على التعامل مع مطالب المجتمع وتشارك بشكل أساسي في عملية تحديد عناصر الهوية الجماعية لمن يتكلم بها، وتعتبر بهذا الوصف من أهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الإنسانية.

تعتبر اللغة هي الأساس الأوّل في ظهور البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها فرديناند دي سوسير، من خلال كتابهِ "محاضرات في اللسانيات العامة، الذي نُشر في باريس سنة 1916م، وقد أحدثت هذه اللسانيات ابستمولوجية "معرفية" مع فقه اللغة والفيلولوجيا الدياكرونية، ويرى دي سوسير أنَّ موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتِها ومن أجلِ ذاتها، وقد فرّق بين اللغةِ والأقوالِ المنطوقةِ والمكتوبةِ، فاللغة أصواتٌ دالةٌ متعارف عليها في مجتمع معين، وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من أفرادهِ، أما الأقوال فكل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة، ولا يكون واحد منها، بل ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين، وبالتالي فدراسة اللغة يجب أن تكون معزولة واعتبارها مجموعة من الحقائق؛ لأن اللغة بالتحليل السابق هي نظام إشاري (سيميولوجي)، يهتم باللغة المعينة ولا يلتفت إلى لغة الفرد؛ لأنها تصدر عن وعي ولأنها تتصف بالاختيار الحر.

وقد أدى تعمق دي سوسير في تحليل الرموز اللغوية إلى تبشيره بظهور علم السيميولوجيا كحقل يدرس حياة العلامات داخل المجتمعات، وقد تحققت هذه النبؤة فعلا وكان لهذا العلم شأن كبير في جميع العلوم الإنسانية والتي أثرى بها الفكر البنائي وتزويده بالأدوات التي لم يتردد الباحثون في استخدامها، والسؤال الذي أودُّ أن

أطرحه هنا كيف ساهم البعد البنيوي السيميولوجي في فهم حياة المجتمعات الحديثة من خلال مدخله اللغوي؟

1 ـ مفهوم البنيوية: لقد واجه تحديدَ مصطلحِ البنيةِ مجموعةٌ من الاختلافاتِ ناجمةً عن تمظهرِها وتجليها في أشكالٍ متنوعةٍ لا تسمح بتقديمِ قاسمٍ مشتركٍ، فقد عرف جون ستروك البنيوية بأنها " طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة، بحيث تخضع هذه المعطيات ـ في ما يقول البنيويون ـ للمعايير العقلية"[1]، ويظهر بجلاء من خلال هذا التعريف وجل جون ستروك واضطرابه في تحديد البنيوية، وذلك من خلال وصف إياها بالطريقة، فهي في نظره ليست منهجا ولا مذهبا ولا مدرسة، وإنما هي طريقة فحسب يمكن الإستئناس بها والركون إليها في التحليل.

كما يعرف ميشال فوكو البنيوية بأنها " مجموعة من المحاولات التي نقوم بواسطتها بتحليل ما يمكن تسميته بالركام الوثائقي، أي مجموعة العلامات والأثار والإشارات التي تركتها الإنسانية في الماضي والأتي، والتي مازالت تكونها يوميا وبعدد متزايد حولها"[2]، ويظهر أن مفهوم ميشال فوكو للبنيوية مرتبط بتحليل الوقائع التاريخية، أو ما يسمي بالبنى المشكلة لتاريخ المعرفة والثقافة الإنسانية، لذلك سميت كل أعماله النقدية في جملتها بالحفريات التاريخية.

وأما في المفهوم العام فإن البنيوية منهج نقدي أو نشاط فكري، يمضي إلى ما وراء الفلسفة، ويتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية[3]، التي تسعى بتعبير رولان بارث إلى السيطرة على اللامتناهي من الكلام[4] بحكم أنها تنطلق من اللغة التي هي في الأصل مصدر هذا الكلام

---

[1] ـ جون ستروك: البنيوية وما بعدها، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1996، ص 9.

[2] ـ ميشيل فوكو: البنيوية التحليل الأدبي، ترجمة محمد الخماسي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، العدد الأول، شتاء 1988، ص 47.

[3] ـ أديث كيرزويل: عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة جابر عصفور، دار أفاق عربية، بغداد، 1985، ص 289.

[4] ـ رولان بارث: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري،ط1، 1993، ص 27

وارتأى جان بياجه في كتابه (البنيوية) أن إعطاء تعريف موحد للبنية رهينٌ بالتمييز "بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُغطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلفةِ أنواعِ البنياتِ، والنوايا النقديةِ التي رافقتْ نشوءَ وتطورَ كلِّ واحدةٍ منها مقابلَ التياراتِ القائمةِ في مختلفِ التعاليم" .

فجان بياجه يقدم لنا تعريفًا للبينة، باعتبارها نسقًا من التحولات يحتوي على قوانينهِ الخاصةِ، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، أما عن خصائصِ البنيةِ التي أشارَ إليها جان بياجه في تعريفهِ فهي ثلاثُ خصائصَ هي كالتالي[5]:

1 ـ الكلية: ومعناها أن البنية تتألف من عناصر داخلية متماسكة بحيث تصبح كاملة في ذاتها، وليست تشكيلا لعناصر متفرقة، وإنما هي خلية تنبض بقوانينها الخاصة التي تشكل طبيعتها وطبيعة مكوناتها الجوهرية، وهذه المكونات تجتمع لتعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كل واحدة منها على حدا، ولهذا فالبنية تختلف عن الحاصل الكلي للمجموع، لأن كل مكون من مكوناتها لا يحمل خصائصها إلا في داخل هذه الوحدة وإذا خرج عنها فقد نصيبه من تلك الخصائص الشمولية.

2 ـ التحويلات: ومعناها أن البنية ليست ساكنة سكونا مطلقا، وإنما خاضعة هي للتحولات الداخلية، وبالتالي فهي غير ثابتة تتولد داخلها بناءات دائمة التغيير مثلما تخضع الأرقام على سبيل المثال لهذا التحول، فأنت تستطيع أن تدرك ما الأساس الذي يجعل 1+1=2 بالقدر نفسه الذي تدرك فيه أن الرقم (2) أقل من (3) أو أنه يسبقه في سلسلة الأعداد أو أن (2) يختلف عن (1) ويختلف عن (3) وأن علامة

---

[5] - جان بياجه: البنيوية، ترجمة عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م، ص 8.

الجمع (+) تختلف عن علامة (-)[6]، وهذه التحولات الداخلية للبنية لا تسير في مسارها عشوائيا، وإنما تتمتع بقدرة من الإنضباط الذاتي.

3 ـ التنظيم الذاتي: ويعني أن للبنية القدرة على تنظيم نفسها مما يحفظ لها وحدتها، ويضمن لها البقاء، وتحقق شكلا من الإنغلاق الذاتي، ولهذا فالبنية لا تحتاج إلى سلطان خارجي لتحريكها، والجملة لا تحتاج إلى مقارنتها مع أي وجود عيني خارج عنها لكي يقرر مصداقيتها، وإنما تعتمد على أنظمتها اللغوية الخاصة بسياقها اللغوي[7]

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن البنيويون أنفسُهم نجدُهم يوردون لمفهوم البنية تعريفاتٍ مختلفةً، وهي في معناها الواسع "طريقةُ بحثٍ في الواقعِ، ليس في الأشياءِ الفرديةِ بل في العلاقاتِ بينَها .

2 . أسس البنيوية: تقوم البنيوية على مجموعة من الأسس الفلسفية والفكرية والأيديولوجية التي تميزها عن غيرها، وهي تمثل سلسلة من الرفض لنظريات نقدية وفكرية سابقة عليها وهي كالأتي:

أ . النزوع إلى الشكلانية: حين جاءت البنيوية لم تأت شيئا غير التعلق المفرط بنزعة الأشكال، فعدت الكتابة شكلا من أشكال التعبير قبل كل شيء، في حين أن اللغة في تمثلها هي أيضا لا تعدو كونها شكلا للتعبير وأداته، وهي لا تحمل أي معنى، والمدلول مندمج في الدال ومن أجل ذلك رفضت البنيوية مضمون اللغة ومن ثم مضمون الكتابة وعدتها مجرد شكل.

ب . رفض التاريخ: لقد رفضت البنيوية هذه القيمة لإنعدام فائدتها في تمثلها هي على الأقل، فنادت بموت التاريخ ونادت بموت كل القيم التي كان كل من تريستان وبريتون يناديان بموتها أيضا، ولم تكن المناداة بموت التاريخ الذي كانت الماركسية

---

6 - إبراهيم محمد خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، دت، ص 69.
7 - بشير تاوريرت: محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر، ط1، 2006، ص 12.

روجت لهمن بعض الوجوه، ببلورة نظرية المادية التاريخية إلا اعلانا عن موت الإنسان نفسه، ولعل موت الإنسان هنا كان يراد به موت القيم التي ظل الإنسان يناضل من أجل تكريسها عشرات القرون دون عناء.

ج . رفض المؤلف: مسألة ابتدأت ارهاصاتها قبل تأسيس النزعة البنيوية وازدهارها في الأعوام الستين من القرن العشرين، ولعل من ألح عليها في أكثر من مقولة الشاعر الفرنسي بول فاليري الذي كان يزعم أن المؤلف تفصيل لا معنى له، ولقد ذهب هذا المذهب فيما بعد جملة من المنظرين الفرنسيين جيرار جنيت، رولان بارث، كلود ليفي شتراوس، ميشال فوكو وهذه الفكرة هي امتداد لرفض شرعية التأثير الإجتماعي.

د . رفض المرجعية الإجتماعية: إن البنيوية لا ترفض المرجعية من حيث هي مطلقا، ولكنها ترفض فقط الرجوع إلى المجتمع في تحليل الإبداع، أي أنها لا تنكر تأثيرا المجتمع تأثيرا مباشرا المبدع وابداعه، على نقيض المدرسة الماركسية فهي تعترف بالمرجعية اللغوية للعمل الأدبي الذي تراه مجرد تجليات لغوية تتفاعل فيما بينها (ما تطلق عليه كريستيفا جوليا التناصية وما قد يطلق عليه رولان بارث حوار الكتابات ثم لا شيء يذكر وراء ذلك)، فرفض البنيوية للتاريخ هو رفض في الحقيقة لكل ما له صلة بالإنسان الصانع لأحداثه، ومن المجتمع المتأثر بذلك والمؤثر في ذلك أيضا، وقد أفضى ذلك إلى رفض كل القيم الروحية والإنسانية جملة وتفصيلا، فلا عجب أن نجد الكتاب البنيويين يعلنون في أكثر من موقف أنهم لا يؤمنون بمرجعية الكتابة ويعدون المرجعية للأدب من أساطير الأولين.

هـ . رفض المعنى من اللغة: إن البنيوية ترفض معنوية اللغة، بل ترى كما يذهب رولان بارث أنه من العسير التسليم بأن نظام الصور والأشياء التي المدلولات فيها تستطيع أن توجد خارج اللغة، وأن عالم المدلولات ليس شيئا غير عالم اللغة، وهكذا

تعاملت البنيوية مع اللغة معاملة خاصة إلى درجة تهتم باللغة وحدها وتتجاهل المعنى تجاهلا مطلقا[8]

3 . خصائص البنيوية: يتميز المنهج البنيوي ب:

أ . الشمولية: المنهج البنيوي منهج تحليلي شمولي، إذ أنه يكشف عن العلاقات التي تعطي لعناصر البناء المتحدة قيمة وضعها في كل منتظم، وهذا يضمن الشمول والعلاقات المتبادلة، فلا تعتبر المجموعات ذات صفات كلية ما لم تنتظم في تشكيل يكشف عن حدودها ووضعها الداخلي دون أن تكون مجرد تراص عضوي لمجموعة من العناصر المستقلة.

ب . الرؤية المنبثقة: يرتكز التحليل البنيوي على تحليل العناصر المكونة للموضوع وطريقة قيامها بوظائفها، وهذا ما يسمى بالتحليل المنبثق، ويترك لمناهج أخرى تناول العالم الخارجي والظروف المتشابكة التي تربط هذا الموضوع بغيره من الظواهر الإنسانية.

ج . العمق لا السطح: يؤكد التحليل البنيوي على الدراسة التفصيلية لحالات معمقة ومحدودة وذلك لكشف عن ميكانيزم الواقع وصياغة نماذجه الأصلية الشارحة، أي ان المنهج البنيوي ينهض على الإستنتاج والإستنباط أكثر من اعتماده على الإستقراء[9].

د . المنهجية: يهدف البحث البنيوي إلى إعادة الظاهرة على نحو موضوعي يكشف قوانينها ووظائفها، فالبنية إذن هي نتاح التحليل والتركيب،وعلى هذا فالمنهج البنيوي يعد مكسبا كبيرا في الحقل العلمي النقدي يجعل من الإنسان قارئا ممتازا يمتلك وعيا نقديا ناضجا وكفاءة علمية في مقاربة أي نص عصي أو ظاهرة معقدة، وليست

---

[8] - عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد متابعة لأهم الدارس النقدية، 2019/210.

[99] - رمضان الصباغ: العلاقة بين الجمال والأخلاق في مجال الفن، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب ، الكويت، المجلد 27،سبتمبر 1998،ص 132.

النتيجة (المعنى) بقدر ما هي المنهجية الجيدة في تخريج المعنى الممكن، ولهذا قالت بأن غايتها ليست الإنسان المشبع بالمعاني بل الإنسان الصانع للمعاني.

هـ . تعدد المعنى: لا تهدف البنيوية في ضوء ما سبق إلى احتواء معنى كامل، والوصول غلى دلالة ثابتة مطلقة فالبنية على الرغم من وحدتها الشاملة، إلا انها تتسع لدلالات عدة تنتجها المستويات البنائية الكثيرة والعلاقات المعقدة في تفاعلها المستمر، مثلما تنتجها القراءة البنيوية الإبداعية في قدرتها على كشف لعبة الدلالة وبواطن النص واحتمالاته اللانهائية، ومن هنا فالنقد البنيوي ليس صارما (جامدا) بل منهجا مرنا قابلا للتعديل والتوسيع تبرز في دائرته كفاءة كل ناقد على اعادة بناء النص، هذه الكفاءة الذاتية الموضوعية التي تتحرك في جدليتها مع النص، والتي تؤمن بإستحالة الوصول إلى دلالة نهائية مطلقة.

ر . **التحليل لا التقييم:** لا يهدف المنهج البنيوي إلى تقييم العمل الإدبي بالجودة أو الرداءة وإنما غايته التحليل الذي يكشف عن تجربة النص نظامها، عناصرها وعلاقاتها ومستوياتها وهي بذلك تبتغي التجرد من أخلاقية الأحكام النقدية مقتصرة على عمل موضوعي.

ز . **القيم الخلافية:** يكمن الأساس البنيوي في امكانية تقارب وتبادل العلاقات بين العناصر الأكثر تباعدا في الظاهر، أي أن هناك وحدة باطنية في الوجود، تبقى قائمة في تستر وعلينا كشفها وتنظيمها

4 . البعد البنيوي السيميولوجي ونحو اللغة والصورة لفهم حياة المجتمعات:

يعتبر" رولان بارث " البحث السيميولوجى هو دراسة الأنظمة والأنساق الدالّة فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدلّ، فهناك من يدل باللغة والآخر من

يدل بدون اللغة المعهودة بيد أن لها لغة خاصة ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة فلا بأس من تطبيق المقاييس اللسانية لبناء الطرح الدلالي، وقد انتقد" بارث" في كتابه "عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبيّنا بانّ اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميّزا من علم العلامات بل السيميولوجيا هي التي تشكّل فرعا من اللسانيات[10] .

بالتالي تجاوز" رولان بارث " تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والقصدية وأكد وجود أنساقا غير لسانية حيث التواصل غير إرادي ولكنّ البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة، وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللسانية دالة، حيث أنّ كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة ذلك أنّ الأشياء تحمل دلالات، غير أنّه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالّة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة، فهي إذا تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة، وهذا دفع "ببارث" إلى أن يرى أنه من الصعب جدّا تصوّر إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة فلا وجود لمعنى إلاّ لما هو مسمّى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة.

أمّا عناصر سيميولوجيا الدلالة لدى "بارث" فقد حدّدها في كتابه" عناصر السيميولوجا "، وهي مستقاة على شكل ثنائيات من اللسانيات البنيوية وهي: اللغة، الكلام، الدال والمدلول، المركب والنظام، التقرير والإيحاء(الدلالة الذاتية والإيحائية)، وهكذا حاول الاستعانة باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير والإشهار...الخ

وعلى حسب "بارث" فالقراءة التضمّنية ترجع إلى الدلالة الحقيقية للدّليل، بمعنى أنها تحيل إلى كون الصورة الصحفية توحي بما هو أبعد ممّا تمثّله كونها تتعلّق بالجانب الإنساني المتصل بالتأثير الذي يولّده الدليل حين التقائه مع مشاعر وأحاسيس

[10] حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، المغرب،1987، ص76.

المتلقي[11]، ويعني هذا أنّ" بارث" عندما يدرس عناصر الصورة فإنه يركز على الثنائيات التي استقاها من الألسنية البنيوية وهي:

1 . اللغة والكلام: ميز دي سوسير بين اللغة والكلام، إن فعل الكلام لا يمكن أن يكون دراسة علمية، لأنه كلام عابر، ليس له نظير في العادة، أما اللغة فهي ثابتة لها بنية قارة عكس الكلام الذي يتكون من عدد لامتناه من الإمكانات الملفوظة"[(12)]، فاللغة بمثابة العقد الأجتماعي الملزم لكل من يريد التواصل، أما الكلام فعل فردي دائم الحركة حسب المتكلم.

وتجسيما لهذا التمييز بين اللغة والكلام، يقرأ رولان بارث الغذاء بما هو نسق دلالي، فيرى لغة الغذاء قائمة على قواعد المنع (المحرمات الغذائية)، وعلى وحدات من التعارضات الدالة (حلو/ مالح، بارد/ ساخن..ألخ)، وعلى طقوس الإستعمال التي قد يمثل ضربا من البلاغة الغذائية أما الكلام الغذائي فيه كل التلوينات الفردية أو الأسرية أثناء عملية الطبخ والتصنيف، وليس التمييز بين اللغة والكلام في رأي بارث مسلم غير قابلة للنقاش، إذ يجري تعديلا عليها لما يجيز قابلية تطبيقها على أنساق دلالية أخرى، فاللباس مثلا يسمح بالتمييز بين ثلاثة أنساق مختلفة، يغيب الكلام في اللباس المكتوب كما تصفة لغة مجلات الموضة.

إن محض لغة لا كلام فيه تصدر عن صناع الموضة دون الكتلة المتكلمة، وفي اللباس المصور تتحدر اللغة دائما من صناع الموضة، ولكنه محمول من قبل عارضة الأزياء التي تعرض كلاما جامدا، أما اللباس الواقعي فيتوافق مهع التمييز السوسيري بين اللغة والكلام، تكمن اللغة في قواعد اللباس بما فيها من تعارضات وثنائيات (طويل،قصير،أبيض، أسود...)، أما الكلام فيتوافق مع الإستعمالات الفردية للباس، بما في ذلك من اختلاف الأمزجة والأذواق والإمكانات"[(13)]

---

[11] Judith Laser, La science de la communication, Edition dahlab, Alger1992,p .45.

[1212] - محسن بوعزيزي: السيميولوجيا الإجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2010، ص 61.

[13] - محسن بوعزيزي: مرجع سبق ذكره، ص 61.

لكن رولان بارث في مؤلفه" نسق الموضة" يحور جزئيا ثنائية اللغة والكلام، ففي اللباس مثلا تظهر ثلاثة أنساق مختلفة من لباس مكتوب، لباس مصور ،لباس ملبوس واقعي، واللباس المكتوب مثلا كما تصفه مجالات الموضة هو محض لغة يغيب فيها الكلام، إذ هو نسق من العلامات والقواعد تقرره مجموعة من الناس دون الإستناد إلى الكتلة المتكلمة، واللغة دون الكلام تعد استحالة عند سوسير"[14] .

2 . الدال والمدلول: يؤكد دي سوسير أن الدال والمدلول" وجهان لعملة واحدة، إذ يصعب الفصل بينهما إلا اجرائيا والعلاقة بينهما تكون العلامة، يمثل الدال مستواها المادي فهي ضرورية له ولكنها غير كافية، أما المدلول فهو المفهوم الذي يشير إليه هذا الدال، فلا يفصح عن نفسه إلا من خلاله كالخطوط الموجودة على الورقة التي تمثل دوال لمحتوى معين هو المدلولات، لكن الدال أساسي في المقاربة السيميولوجية، إذ تقتضي عملية تصنيف الدوال ضمن علاقات تركيبية إلى بناء نسق العلامات، وهذا في حد ذاته مفصل مهم من مفاصل الجهد السيميولوجي"[15]، كون دوال اللسان تتخذ في الرسالة طابعا خطيا متزامنا، " فلقد ركز اللغويون قبل سوسير على الزاوية التاريخية، أي تطور اللغة عبر الزمن، أما رأي سوسير فكان أن مثل هذه المقاربة غير مفيدة في ايضاح مسألة كيف تعمل اللغة بالنسبة للناس الذين يستخدمونها، فالذي يمنح العلامات (المفردات) معانيها لجماعة من مستخدمي اللغة، على سبيل المثال، انما هو نظام الإصطلاح اللغوي وليس معرفة تاريخ تحول العلامات اللغوية لتكون ما هي عليه اليوم، أتاح التركيز على التحليل السيكروني لسوسير أن يظهر كيف تعمل العلامات كجزء من تركيب لغوي في مكان ما وفي لحظة ما، فعلى سبيل المثال فثياب الجينز كانت يوما ما ثيابا للعمل وعلامة للإنتساب ؟إلى الطبقة العاملة، أما اليوم فالجينز هو علامة تعني "الشباب" " وغير الرسمي" علامات تنتمي إلى الثياب اليومية في مقابل " البزات" التي تشير إلى ما

---

[14] - محسن بوعزيزي: نفس المرجع، ص 62.
[15] - محسن بوعزيزي: مرجع سبق ذكره، ص ص65/64.

هو رسمي وتنتمي بالتالي إلى شفرة زي مغاير، وعليه فالمعنى المشفر للجينز يعتمد إلى حد كبير على علاقته واختلافه،عن العلامات المشفرة الأخرى في نظام الأزياء الحالي وليس على تاريخ الجينز نفسه، لذلك تبدو المقاربة السكرونية أكثر قدرة من المقاربة الدياكرونية على كشف المعنى الراهن للجينز "[16].

أما مفهوم الدليل عند أصحاب سيميائية الدلالة أخذ أبعادا أخرى، فبعد أن طوره الباحث " هيامسليف"،أصبح لدى بارث وجماعته يتكون مثل نموذجه من دال ومدلول، لكنه يختلف عنه على صعيد الماهيات للعديد من الأنظمة الدلالية كالأشياء، والحركات، الصور "[17]، التي لا يمكن أن نتعامل مهعا كما نتعامل مع وحدات اللسان، فهي من جهة ليست اعتباطية بالمفهوم الذي يعطيه سوسير للإعتباطية، وهي من جهة ثانية ليست معللة، بالمعنى الذي يجعل منها كيانا حاملا لدلالة خارج سياق الممارسة الإنسانية وأسننها المتعددة"[18]،

3 . المركب والنسق والجدول: تقوم العلامة اللسانية عند دي سوسير على المركب والنسق، تنشأ العلاقة التركبية من تسلسل الكلمات والعناصر المتفرقة فيها تسلسلا منطقيا، فلا معنى يمكن بلوغه دون التمفصل المزدوج بين أجزاء الكلمات، ودون وحدات تركبية بما هي وحدات دلالية تتابع وتتقاطع بصورة منظمة، فتمنح المعنى، وهو ما يميز العلاقة التركبية عن العلاقة الجدولية أو الجريدية (paradigme)، إذ الأولى تعتمد القواعد أكثر من الثانية وينظر للمستوى التركيبي بإعتباره المحور الأفقي للغة أو الظاهرة، أما المستوى الجدولي فيمثل المحور العمودي، يشير الأول إلى العلامات التي يمكن أن تأتي تباعا أو تلك التي لا يمكن أن تأتي تباعا في سلسلة العلاقات السياقية، أما النسق كما يراه دي سوسير سلسلة من الحقول المترابطة وهو أساس كل عمل سيميولوجي، يراه بارث محور الترابطات بين وحدة

---

[16] - جوناثان بيغنل: مدخل إلى سيمياء الإعلام، ترجمة محمد شيا، مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2011، ص 21.

[17] - رولان بارث: مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، كلية الأداب مراكش، 1986،، ص 68.

[18] - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، 2012، ص ص 116/115.

حاضرة في المركب ووحدات غائبة، ويقدم أمثلة على ذلك يجدها مثلا في الثقافة المطبخية، فمختلف تنويعات التحلية التي تقدم فور انتهاء الطعام يمكن أن تكون نسقا أو براديغما، أما قائمات وجبة الطعام، فيمكن أن تكون علاقة تركيبية، وتمثل مختلف أنواع الأسرة نسقا، أما الجمع بين السرير والخزانة والطاولة فتكون مركبا، هكذا كانت أعمال رولان بارث سيميولوجيا مطبقة على موضوعات ثقافية مختلفة من قبيل النسق الغذائي ونسق اللباس ونسق المدينة والحكاية والإشهار كنسق بلاغي[19]

4 . الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية: يمكن اعتبار الدلالة الذاتية والإيحاء في اللغة نسقين من الدلالة يشابك الواحد بالأخر، وفي الوقت نفسه يمكن الفصل بينهما، فالدلالة الذاتية نسق دلالي أول يتكون من دال ومدلول، والعلاقة بينهما تكون العلامة اللسانية، أما الإيحاء فهو امتداد للنسق الأول، تصبح فيه العلامة مجرد دال لمدلول ثان، ويمكن أن يمتد التحليل لتصبح علامة النسق الول، وبشكل معكوس مدلولا لدال جديد، ويظهر الإيحاء أو ظلال المعنى، لما يستهدف القارئ تفسير سنن النص أو الظاهرة، إن مرتبة ثانية من الدلالة، ترد العلامة بدالها ومدلولها، دالا لها فتمنح مدلولا اضافيا، أما الدلالة الذاتية فتشير إلى المعنى الحرفي المباشر الذي هو قائم في النظام الأول من الدلالة، مما يجعله في متناول الحس المشترك"[20].

ولعل المثال الذي قدمه بارث في "بلاغة الصورة " يشرح ذلك، فبانزاني panzaniمثلا تحيل في دلالتها الذاتية إلى نوع من العجين يحمل اسم الشركة التي أنتجته، أما في مستوى الإيحاء فيشير إلى البعد الوطني الإيطالي، بحيث تظهر في جرسية الكلمة، اشارة لا صلة لها بمرجع الملفوظ، أنها وضعية اللغة الخارقة(الميتالسانية) بما هي سيميولوجيا تقوم على سيميولوجيا أخرى، هذه اللغة

---

[19] - محسن بوعزيزي: مرجع سبق ذكره، ص ص 70/69.
[20] - محسن بوعزيزي: مرجع سبق ذكره، ص ص 72/71.

الخارقة هي لغة اللغة، تتحدث فيها الثانية عن الأولى، والأسطورة عند بارث تجسيم لهذا الضرب من اللغة، فهي عنده لسان ثاني نتكلم فيه على اللسان الأول[21].

خلاصة: أكدت النظرية البنيوية والسيميولوجية على السببية القصدية التواصلية للغة (دال، مدلول،قصد) كمبدأ مهم في فهم الحياة الإجتماعية للناس، كما نظرت إلى الصورة كعلامة ونسق غير لساني مستقل له قواعده وأسسه، ينطلق كما يؤكد دي سوسير من حتمية دراسة اللسان البشري كأداة للوصف والتصنيف، بل هو الأداة الخالقة والمؤولة للمجتمع كله، فهو أرقى الأنساق التواصلية لأنه مؤوِّلها ووجهها اللفظي، وهو المصفاة التي عبرها تحضر هذه الأنساق في الذهن الفردي والجماعي للإنسان.

[21] - محسن بوعزيزي: نفس المرجع، ص 72.